الندوة الثانية عشرة 2014

الفتح الرباني بذكر شيء من رحلات الشيخ سيدي محمد بن الكبير الغماري رحمه الله

الشيخ الحاج محمد إدريسي

مدخل

لاشك أن الخالق سبحانه وتعالى، وزع المواهب على الخلق، كما وزع الخيرات على الأرض، ليظل الجميع مرتبطاً بعضه ببعض برباط الحاجة، لايستغني الناس بعضهم عن بعض ولا البلاد بعضها عن بعض، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

والسير قطع المسافات من مكان إلى آخر..

ولقد نظر الدين الحنيف لهذا السير من ناحيتين:

1 ـ سيرٌ يعد سياحةً للاعتبار.

2 ـ سيرٌ يعد سياحةً للاستثمار.

وجعل في كل منهما خيراً كثيراً، يجده الرحالة المؤمن وغيره من المقيمين في الأرض إذا استناروا بنور الوحي الرباني، ومن هنا كان عنوان هذه المداخلة التي كلفت بها من قبل المقيمين على هذا الحفل البهيج، المعطر بأنفاس صاحب الذكرى رحمه الله، والمتمثلة في الإشارة لشيء من رحلاته رضي الله عنه.

---

(1) سورة الروم/9.

هذا، ولما كان الأمر يتعلق به، يصعب معه الإحاطة بذلك، لاسيما وهو بحر أبحر، تغرق فيه البحار، وترشف الأنهار، فقلت على حد قول ماء العينين في شرح نظم الموافقات: من جاء البحر فليأت أهله بشيء من الدرر، وإلا فليأتهم بشيء من العنبر، فلما نظرت إذا البحر في هذا المجال لا ساحل له، ولا سفينة لي تمر بي لأدخله، فبقيت متحيرا، وفي فضل ربي معتبراً، حتى تذكرت عطاء الله سألته سبحانه من فضله فنحن له سبحانه من عطائه، وهو لنا من آلائه، واستعنت ببعض الأوراق التي كتبت في جنابه، وببعض تلامذته الكبار حفظهم الله ورعاهم، وبارك في أعمارهم، من أبرزهم الشيخ العلامة، الحافظ الفهامة الحاج سالم بن إبراهيم حفظه الله، والشيخ الحاج عبد الرحمان بو قلمونة، حفظه الله، والحاج محمد بختاوي حفظه الله، وأحد أصدقائه الذي كان مرافقا له في جل رحلاته الحاج سليمان طلحاوي بارك الله في عمره وحفظه، والشيخ الحاج عبد الرحمن بن الحاج عبد الكريم بكراوي، والحاج محمد بوحسون، والحاج البكري بن الحاج عبد الكريم ابن القاضي بكراوي، والشيخ أبوبكر خالدي، والإمام الأستاذ سيدي عبد الرحمان بن الحاج عبد الله بن اسبع، حفظ الله الجميع.

وحتى أتمكن من إبراز تلك الدرر، تراني مضطرا إلى بذل الجهد في تيسيرها، مقسما البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث، تحت كل مبحث مطالب ثم الخاتمة، ختم الله لنا جميعا بالخير.

أولا: المقدمة: وفيها: أهمية الرحلة في الأرض

من المعلوم أن الرحلة قديمة قدم الإنسان، وقد لعبت دورا هاما في الكشف الجغرافي والكشف اللغوي والمعدني للبشر، وبهذا أستطيع القول عنها بأنها التي وضعت الجذور الأولى لمعرفة أسلوب حياة الناس سواء كانوا فرادى أو جماعات، من خلال الاطلاع على تقاليدهم وعاداتهم وقيمهم ومأثوراتهم، وما حبى الله به بعضهم من علوم ومعارف، لولا الرحلة في طلبها ونشرها، لكانت في عداد المعدوم.

وإن من أعظم الرحلات التي أحدثت كشفا عظيما، ونتج عنها دفعة نحو تغيير نظرة الإنسان لذاته ولغيره، كما فتحت آفاقا لاحدود لها في مسار حركة الحياة والتاريخ الرحلات التواتية، والتي كانت بمثابة همزة وصل بين توات وغيرها من الأقاليم الأخرى سواء للإفادة او للاستفادة، فكيف كان ذلك وبما يبرهن على ذلك أيضا؟

المبحث الأول: التعريف بالرحلة وأنواعها وفوائدها؟

المطلب الأول: الرحلة لغة

كما يقول صاحب المقاييس: مصدر الرحلة، الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر؛ يقال: رجل يرحل رحلة. ومنه قول الشاعر:

رحلت من أقصى بلاد الرحل من قلل الشجر فجنبي موحل

وجاءت الرحلة بمعنى الترحل والارتحال أي الانتقال من مكان لآخر.

وجاءت الرحلة بالكسر: اسم للارتحال والسير، يقال: دنت رحلتنا.

والرحلة بالضم: الوجهة التي تقصدها وتريدها تقول أنت رحلتنا.

وعليه فجاءت الرحلة بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يريد السفر إليه.

والرحالة أي كثير الارتحال.

المطلب الثاني: أنواع الرحلات:

نستطيع أن نتلمس أنواع الرحلات من خلال الأسباب والغايات والأهداف التي تقام من أجلها:

1 ـ الرحلة الدينية: وذلك كالهجرة، والجهاد، والحج، وكل ما كان في سبيل الله.

2 ـ الرحلة العلمية: ما كان في طلب التعلم والتعليم. وأولى القصص التي تحدثت عن الرحلة العلمية، جاءت في القرآن الكريم عن رحلة موسى عليه السلام.

ومن أنواعها: الرحلة التجارية.

وبناءً على ذلك فإن الرحلة تعددت أنواعها حسب تعدد أهدافها، وربما كان في الرحلة الواحدة أهدافاً كثيرة.

المطلب الثالث: فوائد الرحلات:

للرحلات عدة فوائد منها:

1 ـ التعلم الذاتي: يمكن ذلك بزيارة الأماكن التاريخية، ومعرفة ثقافات الشعوب، وأساليب عيشها.

2 ـ تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

3 ـ معرفة خصائص وصفات الأفراد المرافقين في السفر والرحلة.

4 ـ التفكر في عظم الخالق بزيارة الأماكن الغريبة.

5 ـ معرفة مدى نعمة الله على العبد وذلك بزيارة الأماكن الفقيرة.

6 ـ الاعتبار بالترحال في الدنيا، فيتذكر الرحلة الأخيرة، وهي إلى الآخرة، التي لا رجعة بعدها إلى الدنيا، ولا إلى الأهل والجيران، وقد صحب رجل إبراهيم العجلي فبكى، فلما سأله، قال: تذكرت السفر إلى الآخرة. وقد قيل للإمام الشافعي رحمه الله: ما لك تكثر من إمساك العصا، ولست بضعيف؟ قال: لأذكر أني مسافر. وفي الغربة عن الأوطان يقول رحمه الله.

تَغَرَّبْ عَنْ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَسَافِرْ فَفِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تفرجُ هَمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةُ مَاجِدِ

فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ وَمِهْنَةٌ وَقَطْعُ الْفَيَافِي وَارْتِكَابُ الشَّدَائِدِ

فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

فمن هذا المنطلق أحب السلف الصالح ومن ندين الله بمحبتهم في هذا القطر الأسفار والرحلات، وحببت إليهم، فمنهم من قام بتدوين ما اعترضه في أسفاره

من خيرات تصلح لتدبير أمر الدين والدنيا، فكان أسعدهم بذلك، ومنهم من اقتصر على بثها في صدور الرجال؛ لظروف لانعلمها، ومنهم من لم يفعل شيء من ذلك فبقيت في طي النسيان، وإن ذُكرت فإنما تُذكر للتبرك فقط في هذا المجال، كقولهم كانت له رحلة، والله المستعان.

المبحث الثاني: التعريف بتوات وأثر بعض رحلات أعلامها النبلاء.

المطلب الأول: التعريف بتوات:

لقد اختلف المؤرخون في مصدر كلمة توات، بناء على أن اشتقاقها من الفعل واتى يواتي، أو هم اسم للمغارم التي هي الأتوات، أو الكلمة اسم أعجمي يحمل معنى خاصا، فمن قال اشتقاقها من فعل واتى، قال لما فتح عقبة بن نافع بلاد المغرب، وصل خيله توات، سأل عن هذه البلاد، هل هي تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب فأجابوه بأنها تواتي، فصارت تسمى توات.

وذهب الشيخ العلامة مولاي أحمد رحمه الله إلى أنها من فعل واتى، أي يواتي للعبادة إذ هي أرض أمان واطمئنان، على مر التاريخ، وإن أهلها أهل تقوى وصلاح.

ومن قال اسمها يرجع إلى المغارم، وقد رُجح من جهة المعنى اللغوي لها، ذكر أنه لما غلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب بعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المومن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات، فعرف الإقليم بأهل توات، ومن قال الكلمة إسم أعجمي نسب إطلاقها لقبائل من لمتونة عندما التجأت لهذا الإقليم في منتصف القرن 12م بعد أن وجدو المكان يناسبهم أي يواتيهم، وقيل غيرُ ذلك.

والذي يهمنا هنا أنها منطقة عريقة في التاريخ، ذات جذب وقلة، مع بركة وأمان وعافية، تتهيأ فيها العبادة والديانة، والرياضة والزهادة، ولذلك كثر فيها الأولياء والصالحون، والعلماء الربانيون.

موقعها الجغرافي: تقع في جنوب غرب الجزائر من الصحراء الكبرى يضم مدينة ادرار وتيميمون وعين صالح، يحده شمالاً واد الساورة، وجنوبا تنزروفت، وغربا عرق شاش، وشرقا أمقيد، في الجنوب الشرقي الهقار، والشرق الشمالي المنيعة، وهو إقليم يشتمل على عدد من الواحات والقصور والمدن، تبعد أقرب نقطة منه من العاصمة الجزائرية (1500كلم)، دخلها الإسلام بعد الفتح الإسلامي للمغرب على يد الرحالة من التجار والعلماء المسلمين.

المطلب الثاني: أثر الرحلات التواتية

مما لاشك فيه أن هذا الإقليم منذ زمن ليس بالقريب كان ولا يزال منار علم وسط الصحراء الكبرى نتيجة جهود الجلة من العلماء الرُحل، سواءً كان ذلك منها إلى شتى الحظائر العلمية، ثم الرجوع بعد الرسوخ في العلوم الدينية والدنيوية من أجل بث الروح الثقافية، بالإفتاء والقضاء وفتح المدارس والزوايا، كرحلة الشيخ أبي حفص عمر الأكبر بن عبد القادر التنلاني التواتي الجزائري، (ت1152هـ/1739م) الذي رحل إلى فاس من أجل طلب العلم، حيث يقول في مطلعها، وبعدُ: فقد كنت في صغري شغوفاً بطلب العلم، مُولعاً بطلبه، منشغلاً بقراءة الشيخ خليل، وألفية ابن مالك، مقبلاً على ذلك متشوقاً إلى شيخ يحل لي ألفاظهما، ويوقفني على معانيهما، فلم يتفق لي ذلك لكون البلد شاغرة من العلماء، إلى أن شرح الله صدري، توجهتْ همتي للسفر لسجلماسة أو لمدينة فاس قصداً لذلك... إلى أن قال فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس سنة (1117هـ/1705م) حتى صار من العلماء الأعلام الذين اعتُمد على تعليمهم وتوجيهاتهم في مدارس فاس، ذاك كما يقول هو عن نفسه: وكنت مع ذلك في أثناء هذه المدة التي أقمت فيها بمدينة فاس أُقري الطلبة وأُدرس لهم في الفقه وغيره، فكنت أُقرئهم ألفية ابن مالك مِراراً، مرةً بالمدرسة الصباحية، ومرة بجامع القرويين، قراءةَ بحثٍ وتحقيق..الخ إلى أن قال: وكان الطلبة يزدحمون على مجلسي في التدريس، ويرغبون فيه، لا لكوني أفقه من غيري، بل غيري أفقه مني

وأحسن، ولكن لكوني كنت أوضح لهم المسائل وأفهمها لهم، وأبينها لهم جهدي بعبارة سهلة، وأقرأتهم مختصر خليل مراراً.

قلت: حيث تَذكر بعض الروايات أنه كان يحفظ أربعة عشر ورقة من الحطَّاب كل يوم، ويمليها على الطلبة من رأسه بجامع القرويين[1].

ثم بعد ذلك الرسوخ في العلم رجع واستقر بزاوية تينيلان سنة 1129هـ، يُعَلِّم الناس، وفي آخر عمره تولى القضاء، ثم مال لطريق التصوف، واحتجب عن الناس، وكان الناس يزورونه كل يوم خميس، إلى أن توفي عشية الأربعاء ثالث ربيع الأول سنة 1252هـ.

ورحلات الشيخ المغيلي رحمه الله أثرها في توات وإفريقيا السوداء نار على علم في هذا المجال، فلا نطيل بذكرها.

وابن أُبَّآ الذي ربط هذا الإقليم بغيره من البلدان برحلاته العلمية والتعليمية دليل على ذلك، فلقد جال في المغرب الأقصى، وفي مالي،...وغيرها من أجل الاستفادة والإفادة، حتى عُرف بصاحب الجولان.

ومثله العلامة سيدي محمد الطاهري، ومُتَرْجَمنا في الرحلة، العلامة سيدي محمد بن الكبير رحمه الله، كما سنتعرف على شيءٍ من ذلك في بعض رحلاته، في المبحث الثالث إن شاء الله.

المبحث الثالث: التعريف بالشيخ وشيء من الأحكام والفوائد العلمية في بعض رحلاته رحمه الله.

المطلب الأول: ترجمة مختصرة للشيخ رحمه الله.

هو الشيخ العلامة المجدد لما توارى عن القلوب والنفوس من تعاليم الإسلام، الإمام الكبير أجلُّ أعلام المشايخ وعلامة الزمان، سيدي الحاج محمد بن الكبير رحمه الله، وجعل الجنة مستقره ومثواه، ومن عذاب النار صانه ووقاه.

---

(1) انظر الرحلة العلية ج1: ص99 ط: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائري.
انظر ثلاث رحلات مغاربية ص 161.ط: المعرفة الدولية.

وُلد ﷺ ببلدة الغمارة بودة ولاية أدرار خلال 1330 هـ، الموافق لـ: 1911م، نشأ في بيت وأحضان عائلة عريقة في العفة والعلم والمعرفة، مما مكن الشيخ من حفظ القرآن والمبادئ الفقهية والنحوية والآداب في طفولته على يد عمه والطالب محمد التمنطيطي في بلدته ـ ثم تدرج في الطلب حتى صار علاَّمة العصر ﷺ، فاشتغل بتعليم القرآن، والدعوة إلى الله، فتخرج على يديه، تلاميذ يصعب حصرهم لكثر ة من أخذ عنه ﷺ، منهم الشيخ الكبير، سيدي الحاج سالم بن ابراهيم.....الخ، وقد انبثق عن مدرسته من المدارس ما يضيق عنه الصك ويعي بعده اللسان والفك، فهو ﷺ من الأفذاذ الذين ضن الزمان بمثلهم، كان جبلاً من جبال العلم وبحراً لا ساحل له، واسع الحلم علاّمة جليل القدر، جامعاً لأشتات العلا، صارفاً نقد عمره في بث العلم النافع ونشره، فكان درسه مجمع الفضلاء، ومحط رحال النبلاء، غاية في التحقيق، حاد الفهم، قوي الفكرة، متحرباً في الفتاوى، جامعاً بين العلم والعمل كان صاحب همة عالية، وزهد وورع وتواضع وصبر على أذى الناس، وإنصاف واعتراف بالفضل لأهله وثقة بالنفس، وحرية الرأي، ذا سماحة ودعابة لطيفة في درسه مع جلالته، وقد أثنى عليه الشيوخ بما هو أهله من الفضل التام والحاصل: أنه يصدق عليه قول القائل:

حلــف الزمــان ليــأتين بمثلــه حنثــت يمينــك يــا زمــان فَكَفِّــر

المطلب الثاني: في ذكر رحلاته

الأولى: رحلته التعليمية والعلمية

وتبدأ من انتقاله للطلب من بلدته الغمارة ببودة، وذلك بعد أن حفظ القرآن الكريم والمبادئ الفقهية والنحوية على يد عمه، والطالب محمد التمنطيطي رحمهما الله، إلى عاصمة العلم آنذاك "تمنطيط" بناء على عهد قطعه مع أبيه، أن يرجع إليه بعد حفظ المختصر لمدة عام فقط.

قلت: وهنا يظهر عامل الغربة في اكتساب العلم والمعرفة، وأنه من الشروط الموصلة إليه، ومن لم يأت بالشرط لا يمكن أن يأتي بالمشروط، فلا بد من التغرب عن الأهل والأوطان، لابد أن ينفرد الإنسان بالعلم، وأن لا يكون مشغولاً بتبذير أمور الأهل والمعاش، فالذي بين أهله سيشغل بقضاياه، وسيجد لنفسه، مكانة وسؤدداً يمنعه من التلقي، لاسيما إذا كان الجاه، ولهذا قال عمر بن الخطاب: «**تعلموا قبل أن تسودوا**»، وقال أحد الحكماء:

الأهل والجهل ساكنان في بلدٍ فاصبر عن الأهل أو فاصبر على الثاني

ونعرف تاريخ هذه الأمة في الغربة، وكيف كانت الرحلة في طلب العلم، من لدن أصحاب رسول الله، إلى زماننا هذا كانوا يفدون إليه فهذا الإمام أحمد وابن معين سافر على أرجلهما مشياً من بغداد إلى صنعاء، في طلب العلم، وهذا سحنون يخرج من القيروان إلى المدينة على رجليه لطلب العلم فيجلس في مصر ثلاث سنين يروي فيهما عن ابن القاسم ما رواه عن مالك خلال عشرين سنة، وكذلك عددٌ ممن بعدهم من الذين بذلوا الجهد العجيب في جمع الحديث وطلب العلم، ولعل شيخنا ممن أدركته العناية الربانية منذ نعومة أظافره، والذي سبق في علم الله أنه سيكون له شأن في بث العلم وخدمة هذا الدين، فوفق لهذا الشرط.

وفعلاً انتقل به أبوه بصحبة خاله رحمه الله إلى عاصمة العلم "تمنطيط" في ذلك الحين، وافتتح وقفتين في المختصر على يدي الشيخ سيدي أحمد بن ديدي رحمه الله، الأولى من أوله، والأخرى من كتاب البيوع، لكن قدر الله أن لا يكمل المختصر في المدة التي قطعها مع أبيه مدة عام، فتعاهد مرة أخرى مع أبيه على عامين زيادة على العام الأول ليتمَّ مختصر خليل، فصارت ثلاث سنوات، فقرأه فيها على الشيخ قِراءة ثلاثين سنة.

وممن كان يراجع معه بعض وقفات مختصر خليل في أيام دراسته، بأمرٍ من الشيخ سيدي أحمد ديدي، السيد عبد الكريم بن عبد القادر بن حسن التنيلاني، والشيخ بدوره يراجع للسيد الحاج عبد الله بن سيدي أحمد ديدي.

وقرأ بعد ذلك الألفية ولامية الأفعال والعاصمية، وصحح الوقف في القرآن، على الحاج أحمد نومناس، وبلا شك لم تكن المدرسة خالية من مطالعة بعض الأخبار والسير والتاريخ والحديث.

ولما انقضت المدة التي تعاهد مع أبيه عليها في مدرسة تمنطيط، جاء والده لأخذه، وقصدُه أن يعينه على مصاعب الدنيا، فبكى الشيخ على فراق تلك الحلقات المحفوفة بالرحمات، والتي كانت حقاً من رياض الجنة، فقال له الشيخ سيدي أحمد ديدي: «ماقرأته فقد قرأته، ومالم تقرأه يَفتَحِ الله عليك فيه».

قلت: من هنا أستطيع القول، كان الشيخ رحمه الله، ممن أكرمه الله منذ نعومة أظافره بعلو الهمة، فلم تكن له غاية سوى العلم والتحصيل والفائدة، بحيث يصدق عليه ما وُسِم به عتبة الغلام: أنه منذ هذه السن المبكرة، حفظه الله من أن يصيبه شيء مما نرى عليه المراهقين، فكان لا يحسن الإتيان بشيء من سفاسف الأمور.

قلت: وفي أثناء إقامة الشيخ في المدرسة المذكورة، والتي كان خيرها وبركتها بفضل الله، ثم بعلو هِمته رحمه الله، ما يدعو الأجيال من الشباب إلى اكتساب القيم العالية، والاستقامة في طلب العلم، من أجل الارتقاء إلى الدرجات العلية مستقبلاً، أي في الدنيا والآخرة، ورحمة الله على القائل:

لـــه تَغَـــرَّبْ وتواضـــع واتَّـــرِعْ وَجُعْ وَهُنْ واعص هواك واتَّبِعْ

حتى يرى حالك حال المنشد:

لـو أنَّ سـلمى أبصـرت تخـدُّدِي وَدِقَّـةً فـي عظـم سـاقي ويـدي

وَبُعْـدَ أهلـي وجفـاء عُـوَّدِي عضـت مـن الوجـد أنامـل اليـد

كما أقول كذلك أيضاً: إنَّ في مذكراته مع المشايخ والتلاميذ في هذه المدرسة تعطينا صورة المدرسة التي كان يدرس فيها، وأنها كالمشتلة لغرس المعارف اللغوية، والعلوم الإسلامية المكتوبة، والمفاهيم والقيم، فإذا كانت

أدوات الحرب في أرض المعركة معدات عسكرية، فإن أدوات حرب الزوايا جدالٌ، ومناظرة وقلم ولوحٌ، كما قال الشاعر:

حرب الزوايا جدال أو مناظرةٌ أقلامهم كقيسي النيع والسَّمُرِ

قلت: وبالنظر إلى منهجية دراسته ﷺ على شيخه، نجده قد ألهم فيها منذ بدء الطلب، إلى الجمع بين قسمي العلم، أي عقده ومُلَحِهِ، كما يقول الإمام الشاطبي في أول الموافقات: «العلم قسمان عُقَدٌ ومُلح»، والعقد تعقد القلب مع العلم، والمُلَحُ لابد منها للمسير في طلب العلم، لأن الاستمرار بعُقد العلم في الطلب دون ملحه قد يجعل المرء يكسل أو يمل ولهذا روي أن ابن شهاب كان إذا أعطى الدرس في الحديث وانتهى قال: هاتوا من ملاحكم هاتوا من أشعاركم هاتوا من أخباركم، فيأخذ هذا يقص وهذا يقص، يروي هذا ويروي ذاك، فتأنس النفس بما ذكر، ويكون لها نشاطا فيما تستقبل، وهذه منهجية محمودٌ أمرها.

قلت: وعقد العلم: العلوم الأصلية: كالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والعلوم الصناعية، كعلوم الآلة مثل النحو ومصطلح الحديث وأصول الفقه... الخ، وهذه لا بد منها لطالب العلم.

والملح يحتاج إليها لتكميل بناء العلم، مثل قراءة الأخبار، والأدب، والأشعار، وتراجم العلماء، والاطلاع عليها مفيد، لكن لا يضر مَن جهلها في علمه، لهذا نجد من العلماء الكبار من قد لا يعرف بعض التراجم المفصلة أو تواريخ الوفيات لأهل العلم.... الخ، لأنه ليس من العلم الاصلي الذي يكون به المرء طالب علم أو عالما.

والفرق بين العقد والملح: إن العقد لابد لها من رجال يُعلمون كيف تفتح أو كيف تحل، كالواقع من الشيخ بهداية من شيخه الرباني فيما تقدم، ولأنها تحتاج إلى من يحلها لأنها عقدة، والعقدة مجتمع الشيء بتقويته، وتحتاج إلى فكها حتى تعرف مسار الشيء.

والذي يساعد على هذا العلماء عن طريقين: طريق المشافهة أو طريق قراءة الكتب وفتح المغلق منها، ولهذا قال بعض السلف: «كان العلم في صدور الرجال»، ثم صار في بطون الكتب، وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال، ورحمة الله على أبي حيان الذي كان يقول:

يَظُنُّ الْغَمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ

إِذَا رُمْتَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ضَلَلْتَ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

وَتَلْتَبِسُ الْعُلُومُ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُوِّمَا الْحَكِيمِ

قلت: إلا أن يكون الإنسان قد وصل إلى مستوى علمي يصلح به للمطالعة، فتكون الكتب كالمشايخ له كذلك أيضا: كما قال الشاعر:

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا

يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَعَقْلًا وَتَأْدِيبًا وَرَأْيًا مُسَدَّدَا

بِلَا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا يُتَّقَى مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدَا

فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَا أَنْتَ كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفَنَّدَا

أما الملح فلا يحتاج فيها إلى عالم، لكن الذي يحصل ونراه اليوم في الكثير من المدارس، ومن الطلبة أنهم يغلبون الملح على العلم الأصلي، ولهذا نجد الكثير ممن عنده معلومات واسعة، لكن ليست مؤصلة؛ بسبب غلبة الملح عليه يكون مهزوزا إذا صارت عنده الملح مقصودة لذاتها، خلاف سنة أهل العلم كصاحب الذكرى رحمه الله، ومن درسه لخليل، ثم الألفية، ثم العاصمية.....الخ، ما يرشد إلى دقيقة مهمة ينبغي لطالب العلم أن يجعلها ضمن منهجيته في الطلب: أن يختار علما معيناً يحاول أن يفرد الوقت له، ثم ينوع بعد ذلك فيدرس علماً

آخر بالتسلسل؛ لأن العلوم متكاملة، فبعضها يكمل بعضاً، وقد قال الإمام السيوطي: «ما ناظرت ذا علم إلا غلبني، وما ناظرت ذا علوم إلا غلبته»؛ لأن الذي يشتغل بعلم معين سيكون واضحاً أمامه، مطلعاً على تفاصيله أكثر من غيره، بخلاف من يشتغل بعلوم شتى في وقت واحد، يتشتت قلبه بين هذه العلوم.

ومما يلفت انتباه الدارس لسيرة الشيخ رحمه الله حال ذهابه إلى تمنطيط للدراسة لم يكن ذهابه عن كراهية، أو مع التوسط في قبوله، لكن كان نشاطاً كامناً فيه، ما يتطلب من محبيه أن يكونواْ على هذه الشاكلة في الطلب، أن لا نأتي مجالس العلم مع كراهيتها، أو لمجرد الحضور، بل كما قال الشاعر:

إذا هبَّـــت رياحـــك فاغتنمهـــا فـــإن لكـــل عاصـــفة ســـكون

كما يؤخذ من مذكراته مع المشايخ الذين تقدمت أسماؤهم في المدرسة: سيدي عبدالكريم بن عبدالقادر بن حسان وسيدي الحاج أحمد ما ينبغي على طالب العلم أن يكون متلقياً تارة، وباحثاً تارة أخرى، أما إذا عاش على التلقي دون أن يبحث ويطالع، ويحرر المسائل، ربما تضعف نفسه وتسأم، فلا يجد لحل العقد سبيلاً، ويؤخذ من بكائه رحمه الله على مفارقة المدرسة أنه كان على درجة عالية ممن النية في طلب العلم، والنية في طلب العلم معناها ـ كما قال الإمام أحمد رحمه الله ـ: ينوي رفع الجهل عن نفسه: جهله بالله، وجهله بأمره ونهيه، وجهله باليوم الآخر.....الخ، وهذا بلا شك ما يبدأ به ذوو النفوس الحية قبل طلبهم العلم، فإن من طلب العلم يريد به الدنيا، كما هو الغالب عليه في هذه الأزمنة المتأخرة، كان من أهل الدنيا، فإذا طلب العلم لله يريد الأجر والثواب ونفي الجهل، فإنه يكون مخلصاً، وهذه النية المباركة أُعطيَها الشيخ رحمه الله منذ نعومة أظافره عطاءً من الله، وهي مباركة؛ لأن صاحبها يحس دائما أنه جاهل، فلا ينقطع عن العلم حتى ولو عمَّر مائة عام أو أكثر، فهذا ابن جرير صنف كتابه التفسير مختصراً، وقد قال لهم: هل تنشطون لتفسير القرآن الكريم؟ قالواْ: قدر كَم؟ قال:

قدر ثلاثين ألف ورقة، قالواْ هذا مما تمضي فيه الأعمار، فقال: الله المستعان، ماتت الهمم، فاختَصَره لهم في ثلاثة آلاف ورقة قدر العُشُر، وهو الموجود اليوم في ثلاثين جزءاً، كالحال اليوم، إذا ما قرأنا كتاباً من أوله إلى آخره فبمجرد الوصول إلى آخره ننسى ما قد حصلناه في أوله، أو يتشبه علينا أمره، فإذا كان المرء معه دائماً نية رفع الجهل، فإنه لن ينقطع عن العلم، والغفلة عن هذه النية المباركة... أو لعدم استحضار لا يضران إن شاء الله، كما قال ابن المبارك رحمه الله: «طلبنا العلم وليست لنا فيه نية فجاءت بعد».

هذا وبعد أن تمكن الشيخ رحمه الله في العلوم الظاهرية، وأعربها على لسانه، اشتاقت نفسه أكثر لإعرابها على قلبه، فاستأذن أباه في الذهاب إلى شيخ الطريقة الكرزازية في تلمسان سيدي بوفلجة ابن عبدالرحمان (ت1936م)، الجامع بين الحقيقة والشريعة فأذن له، ولم يكن عنده ما يسافر به من ثمن الركوب، فبعثه أبوه إلى رجل الأعمال آنذاك في تيليلان أباقدير ليقرضه 30دورو على حساب أبيه سيدي عبدالله، لكن الشيخ وقد جاء إلى أدرار من بودة بَدَا له أن يذهب إلى سيدي أحمد ديدي ليعلمه مقصوده من السفر، وطلب الإذن منه كذلك؛ إذ كان رحمه الله لا يُقدِمُ على شيئ إلا ويستشيره فيه، وأخبره بما دار بينه وبين أبيه من أن يذهب إلى فلان في تيليلان ليسلفه 30دورو ثمن المركوب إلى تلمسان، فما كان من الشيخ إلا أن يكفيه أعباء الذهاب إلى تيليلان، والانصراف مباشرة إلى توديع الأهل في بودة، ثم إلى تلمسان، فقال له: لا تذهب من أجلها، فهي موجودة عندي، وأعطاه إياها 30دورو، فاشترى منها في أدرار حواقاً لأبيه وإزاراً لزوجة أبيه، ثم ركب بالباقي إلى بشار، ومنها امتطى القطار إلى تلمسان، منها أي 30دورو، وبقي 4دورو فأعطاها لسيدي بوفلجة بن عبد الرحمان زيارة، فرحب به الشيخ رحمه الله، وبعد أن طاب له المقام أخبر الشيخ بغرضه من المجيء إليه، وهو أخذ أوراد الطريقة الكرزازية والسلوك إلى الله تعالى، فلقَنه إياها، وكان من عادة الشيوخ في هذه

الطريقة أن لا يلقنوا المريد ما يزيد على خمسة أسماء من أسماء الله الحسنى حتى لا يتشوش ذهنه، فلا يحفظ شيئاً، فكان الشيخ يقرأ والمريد يعيد ما قرأه الشيخ، ثم يعيد المريد ما سمعه من الشيخ جملة. الأمر الملفت مع ابن الكبير للشيخ سيدي بوفلجة حينما طلب من الشيخ أن يعيد الأسماء الخمسة أعاد 17 اسماً، فسأله: من لقنك هذا الزائد من الورد، فقال له: لا أدري، فتعجب، وقال في نفسه: إن لهذا المريد ابن الكبير شأناً في المستقبل عظيماً.

ثم طلب الشيخ من سيدي بوفلجة الذهاب إلى المغرب الأقصى للاستزادة من العلم فلم يأذن له، كونه مستغن بما عنده من علوم أخذها من تمنطيط، وأنه هو نفسه قد قرأ في ملوكة سنتين، وجد بركتهما أكثر مما وجده في السنوات التي قضاها في فاس، أي سيدي بوفلجة، وحيث كان الشيخ سيدي بوفلجة من العلماء الأعلام في الجزائر وغيرها من سائر الأقطار استغل الشيخ رحمه الله فترة وجوده عنده، للاغتراف من بحره هو كذلك أيضاً، فكان من بين ما قرأ عليه وصححه سلكة كاملة، وعندما عرض عليه السلكة كاملة من حفظه، أمره الشيخ بأن يعيدها مرة أخرى، وكان ذلك بسبب خطأ واحد وقع فيه سهواً؛ مما يدل على أن الشيخ كان صاحب همة عالية، لا يرضى بمسافل الأمور، كما راجع معه بعض شراح المختصر التي لم تكن ميسرة لكل الناس في توات؛ كالحطاب، والرهوني...الخ.

وفي يوم من الأيام استبطأ الشيخ سيدي بوفلجة مجيئ الشيخ الحاج محمد بن الكبير، فسأله عن المكان الذي يذهب إليه، فقال له الشيخ: إن فلاناً مولاي محمد بن مولاي علي الشريف حساني أخ مولاي المعتصم عنده خزانة كتب أذهب إليه لنتذاكر معه ما قرأته عليك، فقال له الشيخ رحمه الله: مثلك يا محمد هو من يذاكر الناس، وبقي الشيخ رحمه الله برهة من الزمن مع هذا الشيخ المربي، ثم شاءت الأقدار أن جاء إلى الشيخ سيدي بوفلجة أهل العريشة يطلبون طالباً يعلم أبناءهم القرآن ويفقههم في الدين، فأخبرهم بأنهم لن يجدوا مثل سيدي محمد بن الكبير، فبقي في

العريشة مدة خمس سنوات قضاها في تعليم كتاب الله، والدعوة إلى الله، وخدمة الدين، ثم منها انتقل إلى المشرية، ومكث فيها مدةً يحفظ القرآن الكريم، ويدرس متون الفقه والتوحيد والنحو... الخ، وتخرج فيها على يديه أئمة ومرشدون، من أبرزهم أكبر عالم في زمانه من المغرب الشقيق الأستاذ الجليل سيدي محمد عبد الكبير البكري، قرأ عليه مختصر خليل، وأتم على يديه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والألفية. ولم ينقطع اتصاله بالشيخ حتى إلى ما بعد رجوعه إلى تيميمون، وفتح مدرسة هناك.

وممن أكرمه الله تعالى بأمر من الشيخ أن يذاكره هذا الشيخ الجليل مختصر سيدي خليل في تيميمون حين زيارته المتكررة: العالم العلامة الشيخ سيدي الحاج سالم بن ابراهيم حفظه الله، قلت في مدة إقامة الشيخ في العريشة والمشرية، كان هذا الشيخ الجليل يدرس على الشيخ مختصر خليل، ثم انتقل إلى الجزائر ليدرس الفرنسية، ثم منها انتقل إلى جامعة القيروان بتونس ليدرس العلوم العربية، ويعد من علماء الجزائر المعدودين، سجنته فرنسا بعد إعلان الثورة الجزائرية، ثم أُطلق سراحه، وانتخب نائباً بالبرلمان الفرنسي عن منطقة الساورة، دون أن يقطع صلته بالمقاومة، وبعد الاستقلال اضطرته الظروف والمتغيرات إلى اللجوء إلى المغرب الذي لم يجهل قدره، فعُين موظفاً سامياً بوزارة الأوقاف، وواصل مسيرته العلمية بإنشاء مجلة الإرشاد التي لعبت دوراً هاماً في غرب العالم الإسلامي وشرقه، ويكفيه فخراً أنه أحد اثنين حققا كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لابن عبد البر، هذا سيدي محمد عبد الكبير تلميذ الشيخ، وأبوه محمد الكبير البكري من ذرية سيدي البكري بوادي الساورة تلميذ سيدي أحمد ديدي رفيق الشيخ في التتلمذ في تمنطيط.

وممن تتلمذ عليه سيدي محمد بن حبيب الله، وكان محمد عبد القادر الهلالي (الدكتور تقي الدين الهلالي) زميلاً له عند الشيخ حبيب الله الذي لاحظ

غيرة محمد بن عبد الكبير من الهلالي؛ لشدة حفظه وحدة ذكائه، فقال له ذات يوم: لعلك تغار من الهلالي؟ سيبلغ الشيء الكثير من العلم، ولكن لن يكون منه طائل، وله أخت أنصحك أن تتزوج بها، فسيكون لك منها عالم إن شاء الله، وتزوج البكري من أخت الهلالي، ورزقه الله منها بالأستاذ الجليل سيدي محمد عبد الكبير البكري، الذي درس على الشيخ المختصر، وهو ـ علاوة على مكانته العلمية والسياسية ـ شاعر مفوه، من أشعاره ما رثى به السيد قطب يوم إعدامه، وهي قصيدة موجودة بحوزتنا والحمد لله. ومن أبياتها:

أقطب الأرض إنك ما أفلتا ... ولا تحت التراب قد اختفيتا

لأنك كل قلب قد سكنتا ... وحبك صار دينا مذ بزغتا

على عرش القلوب قد استويتا ... وبالأنوار عالمنا أضأتا

وقد نقموا لأنك ما خضعتا ... لغير الحق يوما أو ضللتا

وللعلم فإن الشيخ تزوج في المشرية، وولد له بنت اسمها خديجة.

وفي أوائل الأربعينات رجع سيدنا إلى مسقط رأسه بطلب من والده رحمه الله، يحدوه الحنان والشوق إلى أهله وذويه، من بني عمومته، وأخواله، وأشياخه، وكما يقال: لولا المزايا التي تزايدت بها البلدان على البلدان، والإنسان على الإنسان، فإن كل واحد يألف تربيته كإلفه لأمه وأبيه، ولذلك لا يزال يحن إلى مسقط رأسه، ومحل لهوه وأنسه. وقالوا: الكريم يحن إلى وطنه كما يحن النجيب إلى عطنه. قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**».

وقال الشاعر:

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هناك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

ومن أسباب المحبة والحنين إلى الأوطان: أنها رقعة ذاق فيها النعمة، وأنس منها الإحسان. وفي الحديث «**جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضِ مِنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا**». ومنها: حب ما كان فيها من القرابة والأحباب، وتذاكرهم وتذكارهم عند تذكارها، وقد قيل: إن المراد بقوله ﷺ في أحد: «**إِنَّ أُحُدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»: ما كان فيه من الأصحاب: حمزة عمه، ومن معه.. ﷺ أجمعين، فعاد شيخنا واستقر ببودة.

ولما بدأ يظهر أمر الشيخ رحمه الله وجده، والبركة التي خصه الله بها في التعليم، طلبه جماعة من تيميمون، وبموافقة من شيخه رحمه الله، وذلك في سنة 1943م في 10 من شهر فيفري، وقيل: إن سبب ذهابه إلى تيميمون هو حضور الأسبوع، ثم قدر الله الإقامة للتدريس هناك، وطاب للشيخ فيها المقام في غرفة من بيت الحاج أحمد أقاسم رحمه الله قبل أن تبنى له المدرسة المعروفة اليوم، فاشتغل فيها بالتدريس، وتوافدت عليه الطلبة ممن كل حدب وصوب، وفي مدة يسيرة نخرج منها جم غفير من الطلبة والأئمة والمشايخ؛ كالشيخ الحاج سالم بن ابراهيم حفظه الله، والسيد الحاج محمد بن عومر السعيدي حفظه الله، ومما تميز به الشيخ في تيميمون أنه كان يواظب على زيارة العبقري في كل يوم خميس، وكان يقول: «يقولون من زاره كل خميس رزقه الله العلم»، كما أن المدرسة هناك في تيميمون كانت رباطاً ضد الأعداء، تنصر المجاهدين، وتكشف مخططات المستعمرين، حفاظاً على الدين، وحماية للبلاد، وقد لعبت دوراً في الثورة التحريرية: من الحض على الجهاد، والدعوة إليه عبر الدروس والمواعظ التي تؤلب الناس على المحتل، فقد كان الشيخ يؤكد للمجاهدين على ذلك: كالدين سليمان، والزاوي الشيخ، بعد استشارتهما له فيما يخص مشاركتهما في حرب التحرير، بقوله: ما أنتما عازمان عليه هو الجهاد بحق، وإنكما لناجحان بإذن الله، أخذت من لفت الأنظار، وهي في متحف المجاهد بأدرار.

ثم لأسباب قد تكون لها علاقة بالاستعمار، وقيل غير ذلك، الإساءة إلى أحد من كان يعلم في المدرسة الْقرآن من بعض الناس رفعواْ أمر ضربه لابنهم إلى المحكمة إبان الاستعمار، ولكنه نجا بمعونة بعض المحسنين، قرر الشيخ العودة مرة إلى بودة مدة عامين، وبعد وفاة أبيه سنة 1947م، وكان وجوع الشيخ من تيميمون سنة 1948م، فلم يحضر جنازة أبيه؛ لبعد المسافة، وقلة المركوب، وما إن سمع برجوعه مرة أخرى أهل أدرار سنة 1950م، انبرى بعض أهل الخير فيها متوسلين إليه بمساعدة من شيخه على أن يتنقل إلى مدينة أدرار، رغبة منهم أن يتولى الخطابة والإمامة في المسجد الكبير، وبمساعدة بعض المحسنين، إلى هنا أستطيع القول بأنه قد انتهت رحلة الشيخ في طلب العلم والتعليم.

وثمت رحلات أخرى:

01 ـ منها ما كان إلى المغرب الشقيق، إلا أن الذي يطرح هنا: هل كانت قبل المجيء إلى ولاية أدرار؟ أم بعد؟ والظاهر أنه لم تكن في المدة التي أقامها عند شيخه سيدي بوفلجة بن عبدالرحمان ﷺ؛ لأنه الذي منعه من الذهاب إلى المغرب بعد استشارته كما تقدم، يبقى هل كانت زمن إقامته في العريشة والمشرية، الله أعلم.

أم هي الرحلة التي قام بها إلى المغرب مع الشيخ سيدي محمد بن الكبير شيخ الطريقة الكرزازية سنة 1369 هـ، والتي استغرقت 06 أشهر بين الظهرة والمغرب، إلا أن هذه كانت بعد الرجوع والعودة إلى ولاية أدرار، وقد كان من عادة المشايخ الكرزازيين يعقدون هذه الرحلة من كل عام، ينزلون في محطات: من بشار إلى عين الصفراء، ثم المشرية ـ عين العرس ـ بن عمار ـ العريشة ـ سبدو ـ تلمسان ـ مغنية ـ وهران ـ المغرب ـ وجدة ـ فاس ـ وفيها زاويتان تابعتان للزاوية الكبيرة في كرزاز، إلى اليوم؟ يؤكد هذا ـ أي رحلته مع الشيخ المذكور ـ الرسالة التي بعثها إلى شيخه من وجدة في فاتح محرم 1369هـ، افتتحها بقوله: الحمد لله

وحده، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. بوجدة: في يوم محرم فاتح سنة 1369هـ.

حضرة أستاذنا، ومربينا، ومؤدبنا، وسندنا، ووسيلتنا، الفقيه العلم، العلامة الخبير الفاهم، مصباح الظلام الشيخ سيدي أحمد بن المقدس بالله الأمثل، الفقيه السيد محمد ديدي، حفظكم الله ورعاكم من جميع المكاره، ووقاكم، ثم سلم عليه، وعلى ولديه: السيد الحاج عبد القادر، والسيد محمد البركة، وجميع أهل الدار والقرابة، والأحبة والطلبة، وأخص بالذكر منهم محمد سيدي أحمد فقيه، والسيد أمحمد بن عبد الرحمان، والسيد أحمد بن محمد الدلدولي...الخ

وأخبر بزمن قدومه من الرحلة بعد خمسة عشر يوماً، وأبلغه السلام من الشيخ سيدي أمحمد بن الكبير ورفقته، وختم الرسالة بقوله: كاتب الرسالة محمد بن محمد عبد الله، وفقه الله ورزقه رضاه، آمين.

ومما يؤكد رحلته إلى المغرب كذلك أيضاً: تأسفه على الحال الذي عليه الناس في القطر مع الصلاة من نقرها دون التثبت والسكينة فيها، حيث يخبر الطلبةَ أنه رأى ما يبهره من تمسك الناس بسنة الرسول ﷺ في مسجد القرويين، لا سيما في سجود الصلاة، يخبر بأنه عدَّ بنفسه عدد التسبيحات التي يأتون بها في السجود إلى أربع عشرة تسبيحة، ويبكي على الحال الذي عليه الطلبة اليوم مع أعظم ركن في الإسلام.

كما أنه أخذته الغبطة والغيرة من طلبة جامع القرويين وحالهم مع طلب العلم، وهم لاينامون الليل كله استماتة منهم في الطلب واكتساب المعارف، حالهم كما يصف الشاعر المجتهد في الطلب:

تلاميذ شتى ألف الدهر بينهم لهم همم قصوى أجل من الدهر

يبيتون لا كِنٌ لديهم سوى الهوا ولا من سرير غير أرمدة غبر

كان رحمه الله ينفث بذلك الذي رآه في القرويين روح الجد والاجتهاد في الطلبة.

ومما يؤكد لنا رحلته إلى المغرب: أنه كان يذكر كثيراً من أمر عجيب وقع في جامع القرويين بفاس، حيث كانت حلقات العلم تتوزع في جميع زواياه، ولا يسمع من كان في الحلقة الثانية ما يذكر ويلقي في الحلقة المجاورة لها، وهكذا الشأن في كل الحلقات.

كما كانت له رحلة سنوية إلى كرزاز تبدأ من مطلع شهر ربيع الأول، وتنتهي بانتهاء الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف هناك، يفسر فيها البردة، والهمزية، وقراءة المديح مع مجموعة من التلاميذ، يأخذهم معه كُلّ عام بألواحهم وأقلامهم.

وفي كل يوم يجلس بالدار البيضاء، ويجتمع عليه الرجال والنساء في مكان يقال له المصرية، يكون النساء من وراء الحجاب، يسألونه عن كل ما يتعلق بأمور الدين التكليفية وغيرها مما يشغل البال.

كما كانت له رحلة خرج فيها في إطار عمل، لكن قدر الله أن تنقلب إلى رحلة تبليغية وتفقدية، يدعو فيها إلى الله ﷻ، ما من محطة ينزلها إلا ويقدم فيها درساً، لا يدع فيه لمن يأتي بعده للحديث في بابه شيءً، ويتفقد أحوال بعض الطلبة، كانت برفقة الحاج عبد الكريم أقاسم رحمه الله، والحاج سليمان الطلحاوي حفظه الله، سببها استدعاء الشيخ إلى حضور اجتماع في الجزائر العاصمة بخصوص ما يتعلق بإدارة الشؤون الدينية، حيث كان هو القيم عليها في هذه الولاية، وأثناء الذهاب ـ وهم في الطريق، وبالذات في مقران ـ سمعوا طلائع خبر الانقلاب، ثم تأكد لهم الخبر في المشرية، وحينما وصل الشيخ ومن معه إلى مدينة وهران، رأى أن يتثبت من حقيقة انعقاد الاجتماع في الجزائر بعد الانقلاب، فذهب إلى المسؤول آنذاك عن الشؤون الدينية في وهران (الشيخ الزبير) رحمه الله،

وسأله: هل يستمر في الرحلة إلى الجزائر، أم يترك ذلك ويرجع من وهران؟ فأكد له بأن موعد الاجتماع لم يتغير، وفعلاً ذهب إلى الجزائر، وحضر الاجتماع، وكان بعض ما دار فيه من الحوار والطلبات، السبب في أن يطلب ﷺ الإعفاء من هذه المسؤولية المناطة بعاتقه، ليتفرغ إلى التعليم والدعوة إلى الله، ثم رجع إلى ولاية وهران لقضاء بعض المصالح، واستغل بعض المحسنين من الفقراء والمساكين وجوده في مدينتهم، فطلبوا منه إلقاء درس، وبالذات في بيت "الطالب علي" صاحب دلدول، قرب ضريح سيدي الحسني ﷺ، فألقى على السامعين درساً استغرق جل الليل يفسر فيه قول صاحب الهمزية مادحا النبي ﷺ:

كيــف ترقــى رقيــك الأنبيــاء يــا ســماءً مــا طاولتهــا ســماء

جمع فيه سيرة النبي ﷺ من أولها إلى آخرها، مع ذكر بعض العظات والعبر التي تستفاد منها، ولم يتم سيدنا البيت الذي بدأه من بعد صلاة المغرب إلى ما بعد منتصف الليل، حيث امتلأ البيت والشوارع المحيطة به حباً في الشيخ، وسحراً عذوية بألفاظه الحانية العذبة الرقيقة، المليئة بالدرر والجواهر النفيسة.

ثم بعد الفراغ من الدرس صلى بالحاضرين العشاء، وانصرف ﷺ إلى محل إقامته مع رفقته الميمونة، من أجل مأدبة العشاء، ومعهم من حضر من الفقراء والمساكين والمحسنين.

وبقي في وهران أياما معدودة، يعلم الخير، كلما أتيحت له الفرصة. ثم رحل من وهران إلى تلمسان، حيث أقام فيها كذلك مدة يومين أو ثلاثة، من أجل زيارة سيدي بوفلجة وأبنائه.

وكان من بين ما تميزت به هذه الإقامة بتلمسان مأدبة عشاء في أول ليلة منها عقدها ابن الشيخ سيدي أحمد بن بوفلجة تلميذ الشيخ الحاج محمد بلكبير مدة إقامته عند والده المذكور آنفاً للطلب والتربية والسلوك، فما هو إلا أن وُضع العشاء بين يدي الشيخ، وإذا بالشيخ المتفقد لأحوال الأمانات التي كلف بأدائها

يسأل التلميذ سيدي أحمد عن حال الأمانة التي أعطاه إياها، وظن بعض الحاضرين أنها من الأمانات المادية. حينئذٍ سكت التلميذ؛ حيث كان مشغولاً بإكرام الشيخ ومن معه، وبعد الفراغ من واجبات الإكرام ولوازمه، إذا بالتلميذ سيدي أحمد يطوي ركبته أمام الشيخ، ويأخذ في عرض الأمانة على صاحبها، فيسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، فافتتح سورة الفاتحة، وبعدها البقرة، وإلى ما يزيد على خمسة أحزاب، فقال له الشيخ: حسبك ياسيدي، أنت نعم الأمين.

ثم أخذ الشيخ يتناول بعض الأخبار والكرامات التي أكرم الله بها شيخه سيدي بوفلجة، مع الخادم الذي كان هناك قائماً على خدمة الشيخ "الخادم من كرزاز".

ومن خصائص هذه الإقامة أن الشيخ رحمه الله كان كلما زار ضريح شيخه يأخذه الشوق والحنين إلى تلك الأيام التي قضاها في كنفه وتربيته، حتى يقع مغشياً عليه بسبب كثرة البكاء محبةً وشوقاً إلى الشيخ رحمه الله، الأمر الذي جعل بعض من كان معه يخاف من وقوع مكروه له رحمه الله كلما هم بالذهاب لزيارة الشيخ في ضريحه المبارك إن شاء الله، وهذا أَعُده من الوفاء الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن تجاه من أحسن إليه، تماماً كما وقع من النبي ﷺ حينما فتح مكة، وطلب بأن تضرب له خيمة بجوار قبر خديجة رضي الله عنها ليستروح الذكريات.

ثم بعد هذه الإقامة المباركة في تلمسان انتقل الشيخ ومن معه إلى مدينة المشرية، فأقام فيها مدة يومين في منزل القاضي سيدي عبد القادر صاحب بودة، وألقى هناك موعظة بطلب من أهل الحل والعقد فيها، ثم من المشرية ذهب إلى عين الصفراء بصحبة أقاسم المعروف بـ"بوراس" ومن معه، وما إن دخلاها حتى أشعلوا النار، وإشعال النار للضيف تدل عندهم على حفاوة الاستقبال، وكرم الضيافة بأحر ما يحبون أن يقدموه للمحسنين والأخيار من الأضياف، أي لأجل المشوي، فما كان من الشيخ إلا أن يطلب إطفائها معللاً ذلك بكثرة أكل اللحم،

والاكتفاء بأكل الطعام على عادة الأكل في توات، أي بالأيدي الأمر الذي جعل بعض الحاضرين من أهل الحل والعقد والمسؤولية في توات، لا يستطيع الأكل بيديه، فطلب ملعقة، وضحك الناس، ثم بعد العشاء خرج سيدنا قاصداً ولاية بشار، وفيها طلع هلال شهر المولد النبوي، ماجعل الشيخ يعجل السير إلى كرزاز كعادته من كل عام كما تقدم معنا، إلا أنه كانت هذه آخر رحلة لمناسبة المولد في كرزاز، واستغرق رجوعه من كرزاز في هذه الرحلة مدة تسع ساعات؛ حيث لقي من العناء ما الله به عليم، بعد انتظار المركوب في المقسم مدة 03 أيام أو 04.

رحلاته إلى البقاع المقدسة

كان للشيخ رحمه الله تقريباً أربع رحلات:

1ـ رحلة الحج (1953م/1372هـ): وكانت من أدرار على متن سيارة الحاج أحمد كابويا، ومن أهم الأشخاص المرافقين للشيخ فيها: الحاج عبد القادر بن سيدي أحمد ديدي، وبعض المحبين، ثم لما سمع الشريف مولاي المهدي... بارتحال الحاج محمد بن الكبير والحاج عبد القادر قاصدين بيت الله الحرام، وإن كابويا أعطاهما سيارة تحملهما إلى الأغواط أو إلى الجزائر، وكان لديه العلم بأن الشيخ سيدي مولاي أحمد، هو كذلك عازم على الذهاب إلى الأراضي المقدسة عرض أمره على الحاج محمد بن الكبير والحاج عبد القادر، فوافقا على أن يكون رفيقاً لهما في هذه الرحلة، ويا نعم الرفيق، وخرج الموكب الكريم والميمون المحفوف بأقطاب المدرسة التواتية وزواياها حتى وصلوا المنيعة، وكان من خطة الشيخ الحاج محمد بن الكبير والحاج عبد القادر رحمهما الله أن تكون الإقامة فيها عند السيد محمد العالم، واستقبلهم السيد محمد بالفعل بأحسن ما يستقبل به الكريم، لكن سيدي مولاي أحمد الطاهري رحمه الله عرض عليهم الإقامة عند الحاج العيد حجاج؛ إذ هو تلميذ من تلامذته رحمة الله على الجميع، فما كان من الشيخ المتواضع المسلِّم ـ ولا سيما للأشراف والعلماء منهم بالخصوص ـ إلا أن

يلبي طلبه، ونزلوا للعشاء عند الحاج العيد، إذ كان خروجهم من أدرار عند الغروب من ذلك اليوم، وفي الصباح وعند الوداع عرض عليهم خادم الزاوية البكرية من زاوية سيدي البكري ـ وهو ابن جلول الذي كان كاتباً للقاضي ـ النزول عنده في الإياب، وسألهم أن يعطوه العهد على ذلك، وأكرموه بذلك، وبالفعل نزلوا عنده في العودة وصنع لهم حفلاً مهيباً ما يصنع للحجاج عادةً في إقليمنا التواتي، وبعد الخروج من المنيعة كانت المحطة الثانية مثليلي، ثم غرداية، ثم الأغواط، ثم الجزائر، ثم منها إلى مصر، وتميزت الإقامة في مصر في الذهاب زيارة بعض المعالم الدينية: كمسجد عمرو بن العاص....الخ، وألقى سيدي مولاي أحمد رحمه الله فيه دروساً بحضرة الشيخ، حيث كان يعد نفسه أمامه كالتلميذ، وهذه حالة الشيخ لمن يعرفه مع من هو أكبر منه من الناس العاديين، فضلاً عن العلماء والأشراف، يسلم الكثير، ثم بعد 08 أيام قضوها في مصر، وقد ألقى الشيخ درساً في الأزهر في الألفية لـ: ابن مالك، استقلوا بعد هذه الإقامة الكريمة الباخرة إلى جدة، ولا أخفي الحاضرين سراً أنني مع شدة البحث عن بعض المحطات في هذه الرحلة التي تعد من ما يتميز به الشيخ لآخذ منها درساً لم أعثر إلا على خلق التواضع الذي كان يتمتع به شيخنا مع الشيخ سيدي مولاي أحمد في هذه الرحلة، والإحسان والخدمة لابن شيخه سيدي الحاج البركة، والتي أخبره فيها بأنهم وصلوا المدينة يوم 28 من ذي القعدة، والرسالة كتبت يوم 01 من ذي الحجة، وبعد أداء مناسك الحج ووداع البيت الحرام، رجع شيخنا ومن معه من الرفقة الميمونة إلى مصر حيث أقاموا فيه11 يوماً كذلك، ثم إلى الجزائر، ثم إلى الأغواط، ثم إلى غرداية، ثم المنيعة حيث كان النزول عند ابن جلول كما تقدم، ثم إلى أدرار.

2 ـ الرحلة الثانية: إلى الأراضي المقدسة من أجل أداء مناسك الحج سنة 1964، وممن كان معه في هذه الرحلة صهره الحاج عبد الله عزيزي حفظه الله، وكان مبدأ انطلاقها من أدرار؛ إلى غرداية، ثم امتطى الطائرة من غرداية إلى جدة.

ومن أهم ما ميز هذه الحجة أنه نزل بعد الدخول إلى مكة عند مطوف يسمى الدغستاني، وقد تكلم مع مجموعة من العلماء منهم الشيخ باي بلعالم في مسألة الإحرام من جدة، وكان الشيخ باي يفتي بعدم صحة الإحرام منها، وشيخنا يفتي بجواز تأخير الإحرام إلى البر، واستدل على ما ذهب إليه بأقوال بعض الفقهاء الذين أفتوا بذلك؛ لما فيه التخفيف والرفق، ورفع المشقة عن الحاج، ولأن كثيرا من العلماء أجازوا لمن مر على ميقات وهو يريد أن يمر على ميقات آخر لحاجة أن يؤخر الإحرام إلى الميقات الأخير، ولا شيء عليه، الأمر الذي جعل المخالف له في ذلك الحين يرجع بعد المناقشة إلى فتواه لقوة متمسكها، ويقر بيسرها. ينظر: الرحلة العلية، ص37.

الرحلة الثالثة إلى الحج عام 1974م: وكان أول محطاتها بشار بعد الخروج من أدرار، ليمتطي الطائرة إلى جدة، والغريب أن تذكرة الطائرة فيها كانت واحدة، مكتوب فيها: بلكبير وجماعته. عطاء من الله ﷻ، ثم من جدة إلى المدينة، وكانت الانطلاقة قبل الغروب بقليل، والوصول إلى جدة قبل الفجر، ولم يصل المغرب والعشاء في الطائرة، بل أخرهما إلى ما بعد النزول، ولعله كان ممن يفتي أن الصلاة في الطائرة لا تصح ـ كما هو قول جماعة من الفقهاء؛ لأن الشرط في السجود أن يكون على الأرض أو ما اتصل بها، والطائرة معلقة بين السماء والأرض، ومما يدلل على أنه رأيه أن أحد الركاب لما كان يدعو إلى الصلاة بالإيماء قال له الشيخ: من قال هذا؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1]، فضحك الشيخ. وعمله ﷺ، فإنه لما نزل من الطائرة صلى المغرب والعشاء والصبح. ثم إنه بعد الرجوع في نفس الرحلة ركب الطائرة من جدة قبل الغروب، ووصل إلى بشار قبل الفجر، ولم يدخل من المطار إلى مدينة بشار حتى الثامنة، حيث صلى الصبح بعد طلوع الشمس. غير أن الظاهر أنه صلى في

(1) سورة البقرة/115.

الطائرة إيماء ثم أعادها بعد النزول احتياطاً، فقد روى لي الحاج محمد بختاوي أنه بعد عودتهم من الحج ركبوا الطائرة عائدين، قال: وكان الشيخ أمامي في المقعد، فدخل وقت الصلاة فالتفت رحمه الله لي وقال: محمد قل لقائد الطائرة يوقف طائرته لنصلي، وهو يبتسم، فقلت: ياسيدي هذه من عندك، فسكت، وبعد مدة رأيته يومئ بالركوع والسجود، إلا أنه أعاد الصلاة بعد النزول؛ حيث كان الوقت واسعا. ولكن الذي صححه بعض الفقهاء أن الطائرة بالنسبة للمصلي أرض، يجوز له أن يصلي فيها، فماذا يفعل المسافر لمدة سبع ساعات أو أكثر. قال صاحب الدين الخالص: وما قيل من أن الصلاة لا تصح في الطائرة؛ لأنه يشترط في السجود أن يكون على الأرض غير صحيح، لأن هذا بالنسبة لمن وقف في مكان وسجد على مرتفع أما هو كما قال الدسوقي: وَأَمَّا السُّجُودُ عَلَى غَيْرِ الْمُتَّصِلِ بِالْأَرْضِ كَسَرِيرٍ مُعَلَّقٍ فَلَا خِلَافَ فِي عَدَمِ صِحَّتِهِ كَمَا مَرَّ أَيْ وَالْحَالُ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِفٍ فِي ذَلِكَ السَّرِيرِ وَإِلَّا صَحَّتْ كَالصَّلَاةِ فِي الْمَحْمَلِ. ولعل الشيخ لورعه أخذ بالأحوط، والله أعلم.

ثم انتقل رحمه الله من جدة إلى المدينة المنورة، حيث أقام فيها سبعة أيام، ولما عزم على الخروج امتنع بعض من كان معه من الخروج قبل تمام ثمانية أيام، معللا ذلك بعدم إكمال أربعين صلاة، فلما بلغ ذلك الشيخ، قال له: وهل قال النبي ﷺ أربعون صلاة أم ثمانية أيام؟؟ قالوا: بل قال أربعين صلاة، قال: الحمد لله، لو تأمل لوجد نفسه قد صلى ما يزيد عن الأربعين، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً، لَا يَفُوتُهُ صَلَاةٌ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَنَجَاةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»[1]، لكنه بهذه الرواية من طريق نُبَيْطِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَنَسٍ ضعيف لجهالة نبيط، والصحيح في هذه الرواية عَنْ أَنَسِ بْنِ

(1) أخرجه الإمام أحمد.

مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»[1].

ثم خرج سيدنا ومن معه، من المدينة إلى جدة في الطائرة، وأحرم من المطار، وقال لمن كان معه: إذا أرادت الطائرة أن تتحرك فأحرموا بالحج، وبعد الوصول إلى مكة دخل مباشرة بعد وضع أغراضه في مكان الإقامة في حي الشامية، خلف المروة بطلب من الشيخ، وبمفاهمة مع المطوف في الجزائر وبالذات في ولاية أدرار، قبل الوصول دخل مباشرة إلى المسجد الحرام لأداء طواف القدوم، وفي اليوم الثامن خرج إلى منى ولم يذهب مباشرة إلى عرفات كما هو الحال اليوم، حتى صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح قصراً، وفي وقت الضحى خرج إلى عرفة، وفي عرفة ذهب وتلميذه الحاج عبد الرحمان بوقلمونة والحاج عبد الكريم إلى مسجد نمرة، والبقية ممن كان معه وقفوا في المخيم من أرض عرفة، ثم بعد غروب الشمس خرج إلى مزدلفة ثم إلى منى ورمى ومن معه في الصباح بعد طلوع الشمس جمرة العقبة وفي اليوم الثاني أمر النساء بعدم الرمي ورمى عنهن وأهدى ﷺ، وكنا معه ثلاثة نسوة معه منهن زوجته ﷺ، وفي هذه الحجة لم يتعجل يوم النفير من منى، حيث بقي حتى رمى ومن معه رابع النحر، كما قال تلميذه الحاج عبد الرحمان بوقلمونة.

قال «بقينا في منى كالغُرباء لوحدنا»، ولم تكن هذه الأيام في منى محطةً للنوم واللهو كما هو الحال، بل كانت مليئة بإلقاء الدروس في الوعظ والإرشاد والتذكير بأحكام ما بقي من فريضة الحج، وفي يوم من أيامها وهو يعظ ﷺ سأله رجل عن حكم من يذهب إلى الأراضي المحتلة من أجل محاربة اليهود، فقال له الشيخ هل أنت تسألني عن الحكم أم تطلب مني المشورة في هذا الأمر، فقال له: أشاورك ياسيدي، فقال المشورة عندي أن لا تذهب، ثم قال كلاماً يدل

(1) أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفاً، ورجح الموقوف، وهو حديث حسن بشواهده من حديث عمر عند ابن ماجة، وأبي كاهل عند الطبراني في "ك". وعن أبي الدرداء عند أن أبي شيبة.

على عدم استحسان هذا الأمر منه، ولعله نظر في هذه المسألة بناءً على أن من شرط الوسيلة الدعوية أن تكون في ذاتها غير مخالفة للنصوص الشرعية، فلا يجوز أن يتوسل بها إلى المقاصد والغايات، خلافاً لمن أجازها في العدو إذا كانت بقصد إعدامه وإزالته عن الأرض.

ثم رجع ﷺ إلى مكة وبقي فيها تسعة عشر يوماً، وفي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة توفي أحد من سافر معه في هذه الرحلة، وهو صديقه وزميله في الدراسة عند سيدي احمد ديدي ﷺ وهو الحاج الجيلاني بختاوي، حيث كانت بينهم رابطة قوية، وكانا قد انفردا قبل المجيء إلى مكة في زاوية من زوايا المسجد النبوي في المدينة فتعانقا وتكلما برهة من الزمن، ثم كل منهما دعا لصاحبه بخير وكانت آخر جلسة لهما في هذه الرحلة، وبعدما بلغ خبر وفاته للشيخ في مكة طلب ابنه محمد أن يحضر عنده، وقال له إن والدك توفي وفاةً يتمناها كل واحد، وإن الله ﷻ يعطي لعبده ما يشاء وكيف يشاء، فلا يحتاج منا إلى ختم السلكة ولا غيرها، وذكره بالحديث النبوي الشريف: «**من مات في أحد الحرمين بعث آمناً**»، أو كما قال ﷺ. ثم خرج إلى جدة بعد الوداع لبيت الله الحرام ثم من جدة مباشرةً إلى مطار بشار حيث وصل بعد الغروب إلى ولاية أدرار، وفي قصر اسبع بات من كان معه وذهب هو والنساء الثلاثة إلى مديتة أدرار، وبعد أن صلى الصبح من اليوم الموالي رجع إلى الرفقة في اسبع ليصحبهم معه كذلك إلى مدينة أدرار، وكانت هذه الحجة الأخيرة له ﷺ.

4 ـ الرحلة الرابعة: مناسك العمرة وذلك في سنة 1976م استغرقت 50يوماً حيث كانت بدايتها في الثامن من شعبان إلى ثمانية وعشرين من رمضان، من مطار أدرار إلى مطار الجزائر، ومنها إلى مطار قرطاج بتونس على متن طائرةٍ قادمةٍ من المغرب، حيث بقي ومن معه فيه مدة ساعةٍ صلى خلالها صلاة العصر، والذي أمهم فيها الشيخ محمد بن العلوي المالكي ﷺ، حيث كان قادماً من

المغرب، ولم تكن قد سبقت لهما معرفةٌ من ذي قبل، وإنما كان الشيخ يعرف أباه العلوي رحمه الله الذي كان ممن لو أقسم على الله لأبره كما يصفه، يروي ابنه السيد محمد أنه في ليلة من الليالي كان يطوف معه إذ سمع غناء من إحدى البيوت القريبة للمسجد الحرام وهما في المطاف لوحدهما، فوقف الشيخ العلوي وقال: إن الله سينتصر لبيته، وفعلاً بعد أسبوع صدر الأمر الملكي بتوسعة المسجد الحرام فأبعد الكثير ممن كان يسكن قريباً من المسجد الحرام إلى أمكنة أخرى كالرصيفة.... من أجل التوسعة، فلم يسمع بعد ذلك فيه غناء، كما أن الشيخ مدة ركوبه في الطائرة من الجزائر إلى تونس لم ير محمد العلوي المالكي إلا بعد النزول، ووقع بينهما شيء من الحديث الحسن، فجميع ما ذكر هنا قيل للرفقة في تونس؛ فقدمه الشيخ يصلي بهم إماماً لصلاة الصبح، وتواعد على أن يزوره في بيته في الرصيفة من مكة المكرمة، فوعده الشيخ على ذلك، ثم صعدوا إلى الطائرة، وقد انطلقت بهم إلى مطار ليبيا، ولكن لم يسمحوا له بالنزول من الطائرة إلى أن وصلوا إلى جدة، وفيها افترق مع الشيخ محمد العلوي المالكي، حيث ذهب إلى أهله في مكة، والشيخ ومن معه قدموا زيارة المدينة المنورة بنوره ﷺ، ثم بعد زيارة النبي ﷺ وزيارة قبر سيدنا عبد الله أب النبي ﷺ، خرج سيدنا من المدينة محرماً إلى مكة بنية العمرة، وزار الشيخ محمد العلوي في بيته، وهنالك طلع هلال شهر رمضان من ذلك العام، وفي هذه الرحلة أتى رحمه الله بعمرتين، وحينما سئل عن كراهة تكرارها في المذهب قال اعتمدت في هذا عن القول المقابل للمشهور، كما في منسك خليل، في كلام هذا معناه.

ثم بعد أداء مناسك العمرة والتمتع بالمجاورة في تلك البقاع خرج رحمه الله من مكة إلى جدة ثم منها إلى الجزائر.

وفي هذه الرحلة صام سيدنا رمضان من هذا العام يوم الخميس 1 رمضان، حيث كان العيد بعد ذلك في السعودية يوم 29 بالجمعة؛ والجزائر صمنا فيها بالجمعة 30 يوماً، فصام الشيخ حيث خرج من السعودية يوم 28 كما تقدم من رمضان31 يوماً، والتقى في الجزائر بالسيد الحاج سالم مكيد الذي صام مع الجزائر الجمعة، وقد زوده الشيخ بشيء من النقود المختلفة العملة الليبية والتونسية والسعودية، وأفطر مع السعودية يوم الجمعة، وفي هذا نكتة فقهية، فوجب على الشيخ ومن معه أن يصوموا مع السعودية ويفطروا مع الجزائر، والحاج سالم يفطر مع السعودية ويقضي يوما كاملاً.

وبعد أداء مناسك العمرة عاد الشيخ ومن معه إلى أرض الوطن تغمرهم السعادة بهذه الزيارة الميمونة.

وثمت رحلتان طبيتان سافرهما للاستطباب لذلك أضربت صفحاً عنهما..

رحلة إلى فرنسا استغرقت 05 شهور خرج يوم 23 رجب 1412هـ الموافق لـ: 28جانفي 1992م، ورجع يوم السبت 05 ذو الحجة 1412هـ الموافق لـ 06جوان 1992م

ورحلة إلى مثليلي من 1995/09/04م إلى غاية 1995/09/22م

وظهرت فيهما كرامات أثرت عدم ذكرها لأنه رحمه الله كان يحذر من إيثار الكرامات في مثل هذا الموطن حتى لانفتح الباب للسب والثلب من هؤلاء المتطرفين الطاعنين فيمن أكرمهم الله وأحبهم وتولاهم.

الخاتمة: وبعدما ذكرته فهذا أوان وضع القلم، ولست أزعم فيه الكمال، وتحقيق المنال، ولا بلوغ غاية الآمال، ولكنه جهدُ مقل على ضعف في الحول والطول، لاسيما وثمت من هو أولى بالكتابة عن هذا الإمام، فقلت والله أعلم بذلك وأنا أبحث عن هذا الذي كتبته بعدما وجدته ما رأت عيناي قط مثله خلقاً

وخُلقاً وإنصافاً وحرصاً على العلم ورغبةً في نشره واجتهاداً في طلبه وتواضعاً وخشيةً ومرؤةً وصبراً واحتمالاً وحياءً وسخاءً وإيثاراً وتبحراً مع المشاركة في سائر العلوم الشرعية وحسن الإدراك وقوة الفهم وحب الخير لجميع المسلمين.

قلت هذا كله مستحضرا قول حارثة بن بدر الغدائي التابعي رحمه الله...

خلت الديار فسدت غير مسودٍ ومن البلاء تفرد بالسؤدد

وفي الأخير أسأل الله وبنبيه أتوسل أن يجعل ما كتبته في جنابه رحمه الله خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعلنا من خاصة أوليائه ومن المحبين الموالين لهم وأن يحشرنا وصاحب الذكرى في زمرة حبيبه الكريم سيدنا محمد ﷺ وشرف وعظم ومجد كرم، والحمد لله رب العالمين. **جمع: محمد بن أحمد ادريسي "أسبع"**.

